# التاريخ الحديث والمعاصر

# الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية: جريدة الحق الوهراني نموذجا 1911-1912

د./ إبراهيم مهديد

تمهيـــــد : إن محفوظات الأرشيف المنوطة بميلاد النهضة الوطنية –أو فجر نهضة– قبيل الحرب العالمية الأولى، وخلال الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين (والتي هي بصدد الترتيب النهائي–بفرنسا– لوضعها بين أيدي الباحثين[1] تؤكد مدى اتساع انتشار هذه النهضة مع مطلع القرن العشرين، إن في مجاله الثقافي السياسي، الاجتماعي، الرياضي أو الديني (Les cultuelles) وذلك عبر نواحي ومناطق الجزائر كلها وعلى المستويين الجزائري والأوربي. ولقد ارتكز ذلك من ناحية فكرية على نخبة (أنتيليجانسيا) حضرية انحدرت من طبقة برجوازية من المدن، ومن علماء ومثقفين تقليديين انحدروا هم الآخرون من أرستقراطية ريفية تمثلت في الزوايا والمعاهد العلمية والمدارس القرآنية.

شهدت مدينة وهران ميلاد "النادي الوهراني" المسلم عام 1911 من طرف اللجنة المشرفة على صدور جريدة "الحق الوهراني" وهو النادي الذي كانت تتردد عليه وتجتمع فيه أنتيليجانسيا القطاع الوهراني كأمحمد بن رحال الندرومي (الممثل النيابـــي والمفكر الجزائري) وغيـــره. كما عرفت هـــذه المدينـــة –الأوربية المسلمة– مع مطلع القرن العشرين بداية النضال والصراع الاجتماعي الذي كان يأطره مثقفو وبورجوازيو أنديتها

* أستاذ محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة وهران

بتوجههم نحو الشغيلة الجزائرية لتنظيمها، كما حصل مع الشاب "ابن سعد" (وهو من أعضاء لجنة جريدة "الحق الوهراني")، المنشط الرئيسي بالنسبة "لجمعية التضامن الخيري الأهلية" من 1900 إلى 1930، و"العربي فخار" الذي ترأس "نقابة الشحّانين الوهرانيين" وهي النقابة التي تأسست بين 1903 و1904. وعندما ترعرعت جريدة "الحق الوهراني" أسس الشبان الجزائريون المنتمون لها "جمعية المدرسين الأهالي لعمالة وهران" في مايو 1912، عرفت باسم "جمعية الصداقة" وكان على رأسها "معبد بن عودة".

"الحق الوهراني" والهوية الوطنية الجزائرية: استطاعت نخبة من الشباب الجزائري أن تعبر عن اندفاعها الوطني الكبير، أكثر من أي قوة سياسية أخرى عندما لجأت إلى وسيلة الصحافة باللغتين العربية والفرنسية، مما جعلها تلعب دورها كاملا للدفاع عن مصالح الجزائريين وتوعيتهم. وقد ساهمت فعليا في إيقاظ الرأي العام المسلم، فأعطت ثانية لتلك الفئة المثقفة ثقة الجماهير المطلقة والرسمية.

وسوف تتحول كل من جريدتي "المصباح" (1904–1905) و"الحق الوهراني" رسميا إلى لسانيين مسلمين ووطنيين على مستوى إقليم وهران بالغرب الجزائري للدفاع عن مصالح المجتمع الجزائري مع بداية القرن العشرين وقبل الحرب العالمية الأولى، وستكشف أقلامها النخبوية عن قضاياه السياسية والاجتماعية من حقوق وتمثيل سياسي لائق له؛ كما أنهما ستطرحان بعمق مسألة التجنيد الإجباري العسكري بالنسبة للشباب الجزائري وقضية "التجنيس مع البقاء على الأحوال الشخصية الإسلامية"، رفقة المطالبة بالإصلاحات الضرورية للجزائريين حينئذ.

على مستـــوى الغربي الجزائري هناك إذا "الحق الوهراني" (1911–1912)[2] وهي الجريدة التي صدرت بمدينة وهران وحررت في أول الأمر باللغة الفرنسية، وبداية من عددها الواحد والثلاثين أضيفت صفحتان بالعربية. وهذه الصحيفة ألحقت عنوانها الرئيسي بـــ"الفتى المصري"، واعتبرت هي الأخرى محمد عبده مديرا روحيا لها. والمحلل لهذه الجريدة الوهرانية يبدو له جليا أن أعمدتها وطروحاتها كانت تدافع عن حقوق

المسلمين الجزائريين، رافضة لتجنيد الشباب الجزائري بكل وضوح، موضحة ما في هذه العملية من خطر عليه، بل أنها كانت تحرض الجزائريين إلى الوقوف ضده، حتى لا تسمح للسلطات الإستعمارية بتطبيقه، كما كانت تعالج وتطرح على بساط النقاش نوايا المبشرين من الآباء البيض المسيحيين ضد الإسلام. أما فيما يخص "التجنيس" فقد أوضحت خطها المعادي له وأنذرت المجتمع الجزائري بفطانة "من فخ تقسيم الجزائريين" وتمييز مسلمي المدن.

عن مسلمي الأرياف والجبال وقبول أنصاف الحلول مما سيرضي قسما من مواطنينا وهذه هي التجزئة الخطيرة بخلق فئات [متشتتة] من المسلمين، مما يعني إقامة الحواجز التي يصعب اختراقها في المستقبل، لا تسقطوا في هذا الفخ» (3).

ولقد قامت صحيفة "الحق الوهراني" في هذا الإطار بتضمين صفحاتها العربية بفصول في الوعظ و"نصيحة الأخ ودعوة الإصلاح" داخل المجتمع الجزائري قصد استقامة وتصحيح ما لحق به من الشوائب:

إننا معشر الجزائريين قد قام بيننا أناس تخلفوا بمفاسد التمدن الحديث وشرور الحضارة الجديدة...والتقاليد المضرة بالدين والوطن والاقتداء بسياسة العدو والتقلب التي يأباها الشرف والهمة، فلا غرابة قلنا أن هؤلاء الناس هم تماثيل عيوب قاتلة وسهام على الآداب الإسلامية قاطبة» (4).

وللحفاظ على هوية الجزائريين الوطنية ضمنت صحيفة "الحق الوهراني" أعدادها بمقالات ضد "سياسة التجنيس" وما لحق بها من مزاعم حقوق لبعض الجزائريين من النخبة فأنذرت وحذرت واستمرت في انتقاداتها لها:

«إخواني لا تتكلوا على من يريد تغريركم بقوله ولا تطمعوا في شربة ماء من سراب. وليس لكم في هذا المقام إلا تبصير إخوانكم [المتحمسين للتجنيس والاندماج] في عواقب الأمور والاحتراز من الوقوع في حبائل الغرور» (5) .

وكانت تأتي النصيحة في أمور السياسة للجزائريين من طرف صحيفة "الحق" صحيفة بالعمل.

"على اقتسام كل عقبة كؤود تقف في وجوهكم ابذلوا قصارى الجهد في نشر وإعلاء الأفكار الهائلة لإنعاش كبوة الوطنيين والعروج لهم إلى معالي الأمور".

وتغذّت "الحق الوهراني" فكريا بما عولج عن "الجامعة الإسلامية"، ودورها للدعوة الإسلامية التي قامت على الحج إلى بيت الله الحرام في "مكة" و"المدينة" والالتفاف حول الخلافة.

وكما نعلم لازالت الخلافة قائمة بيد آل عثمان (السلطان عبد الحميد) خلال العشرية الأولى من القرن العشرين باعتراف العالم السني. ولذلك فقد عمل السلطان عبد الحميد في هذين المجالين؛ من جهة على إحياء عظمة الخلافة الدينية واسترداد ما كان لها من الخلافة والهيبة والخطورة في العالم الإسلامي، كما عمد إلى استصراخ المسلمين إلى نصرته والالتفاف حوله وأخذ يهدد الدول الغربية بتحريك المسلمين في البلاد الخاضعة لها. "فالمسلمون في ألبانيا يهدد بهم النمسا والمسلمون التتر والأكراد يهدد بهم فرنسا"[6]

وقد كان السلطان عبد الحميد محبوبا في الجزائر ومنتظرا من الجماهير "كرجل الساعة"، والمنقذ، حتى أن السلطات الفرنسية قد لامت القومية الإسلامية على ثورتي عين التركي عام **1901** وعين بسام عام **1906** بالجزائر، وشددت رقابتها على الصحافة الواردة من المشرق العربي ومنعتها رسميا[7]، حيث أن هذه الصحافة كانت تدعو الجزائريين باستمرار إلى رفض التغريب، وإلى الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين في وجه سياسة التجنيس ومغرياته.

فـ"الحق الوهراني" كلسان معبر عن شريحة من الطبقة البرجوازية المتوسطة والمحافظة في القطاع الوهراني– كما ذكر– ثبتت إلى حد ما مرجعية "الجامعة الإسلامية" و"الحركة الإصلاحية" العربية قبيل الحرب العالمية الأولى، فرأت «أنه من الواجب المحتم على عقلاء المسلمين في جميع أقطار العالم عقد المؤتمرات العديدة التي تكون فروعا من المؤتمر العالمي (الحج) الذي وضع دعائمه المولى سبحانه وتعالى وإنشاء الصحف والمجلات وإرسال المبشرين لهذه الغاية الشريفة عملا بأوامر دينهم وأكثر المسلمين مسؤولية بالقيام بهذا الواجب...»[8]

بل الدعوة إلى الجهاد و"المجاهدة في سبيل الله ورسوله بالمال والأرواح...أيها المسلمون ماذا انتم فاعلون...ها هي [دول أوربا] اليوم قد قامت تهدد كيان الإسلام بالتعرض إلى معابده المقدسة بينما نحن نيام، ها هي دولة القرصان الباغية إيطاليا الوحشية السافلة تحدثها نفسها بمهاجمة الحرمين الشريفين والعبث بكرامتها..."[9].

وترى "الحق الوهراني" بكل تفاؤل أن إيطاليا « لم تجد نفعا ما اــ[غزوها] سواحل طرابلس ولمهاجمتها الأماكن المقدسة...وهو ما لا نتوقع حدوثه، وإلا رأينا مسلمي البلاد العثمانية لا يلوون على محبة أو إخاء أو مدينة بل يهبون عن بكرة أبيهم كالأسود الكاسرة للانتقام لدينهم وسرعان ما تتبعهم جميع الممالك الإسلامية... لاشك ولا شبهة قط في أن الظفر سيكون حليف العثمانيين لأنهم على أقل تقدير ببلادهم من الكنائس وأربابها عشرات آلاف مرات ما قد يوجد من المساجد بالمماليك الأجنبية...»[10].

فمن المنظور العقائدي الذي كان يعزز هوية الجزائريين العميقة، لحت "الحق الوهراني" على مرجعية "الجامعة الإسلامية" و"الاتحاد الإسلامي": «لأن كل مسلم في أي قطر كان في العالم شرقا وغربا لا تفصله أية قوة عن الارتباط بهذه الوحدة المذهبية الدينية إن تمسك بدينه، أما إذا انصرف عن شريعة وسنن هداية الرسول الأكرم وترك الارتباط بهذه الوحدة لا يبقى للإسلام أثر ولا تبقى لكلمة "الاتحاد الإسلامي" معنى الشمول والتعميم»[11].

ولعل الاتجاه المخلص لــ"الحق" هو الذي شجع بعض الكتاب الجزائريين الوطنيين مثل عمر راسم فراحوا يشاركون فيها بأقلامهم، داعين إلى التمسك بالشخصية الجزائرية العربية والإسلامية. ولم يكن عجيبا أن تبرز هذه الصحيفة بمثل هذه الروح في وقت نشط فيه من الناحية السياسة تيار "الشبان الجزائريين" المتفرنس والداعي إلى المساواة بالفرنسيين عن طريق الاندماج والتجنيس؛ "فالحق الوهراني" ظلت مقاومة في خطها

الوطني، داعية إلى الإصلاح من منظوره الإيجابي :"كالإصلاح الإداري" و"المطالبة بالتعليم للجزائريين وحقوقهم المادية والمعنوية والابتعاد عن زخرف المدينة الأوربية"[12] السلبي.

فمن الأمور التي كسبت دلالتها بالنسبة للهوية الوطنية أن دعوة "الجامعة الإسلامية" لقيت نجاحا في الجزائر بالذات ذلك أن الحركة الوطنية في الجزائر كانت تصارع السيطرة الاستعمارية الفرنسية، ومن الطبيعي أن تتطلع إلى تأييد دولة إسلامية كبرى كالدولة العثمانية، وأن تقاسم مآسي وتتطلع بلدان المغرب العربي، تونس مراكش وليبيا. فالهوية الوطنية الجزائرية كانت حتى الحرب العالمية الأولى تعمل في محتوى ديني– ثقافي وسياسي واضح.

وعلى مستوى الغرب الجزائري فإن دعوة "الجامعية الإسلامية" قد لقت صداها في مدن كثيرة كمستغانم وتلمسان –على غرار بعض مدن الشرق الجزائري، كعنابة وقسنطينة ووسطه كالجزائر العاصمة– خصوصا بعد احتلال تونس من طرف فرنسا وغزو طرابلس الليبية من طرف إيطاليا عام **1900**[13]. فمن جهة وخلال أكتوبر **1911** تركت الحرب الإيطالية العثمانية في طرابلس أثرا على المواطني أن الجزائريين الذين كانوا يتبعون الأحداث باهتمام وحماس[14]، مما حمل إدارة "الحق الوهراني" مع المتعاطفين عبر القطاع الغربي من الجزائر لتأسيس لجانا "للهلال الأحمر" عبر العمالة قصد الاكتتاب لصالح المسلمين المتضررين من جراء الحرب وهذا على منوال اللجان الجزائرية المتوزعة في الوسط والشرق.

واعتبرت لجنة مدينة مستغانم التي جمعت أزيد من **3000** فرنك فرنسي خلال أسبوعين بعد تأسيسها أنشط اللجان غربا، تلتها مدينة وهران فتلمسان. وفي **28** جانفي **1912** اجتمع شبه مؤتمر حقيقي في وهران حضره حوالي أربعين عضوا من مسؤولي تلك اللجان التي كانت تحت رئاسة النائب العام "ابن حميدة" والذي قدم عرضا عن هذا الاكتتاب الذي بلغ **36.1999** فرنك؛ أقتطع منه **1000** فرنك لصالح صحيفة "الحق الوهراني". أما عملية الاكتتاب العام هذه فقد حصلت على حوالي **410.000** فرنك[15]،

واعتبرت نموذجا في "التضامن الداخلي للجامعة الإسلامية" الأمر الذي أقلق الحاكم العام في الجزائر ولم يستطع منعها.

على أن التضامن الإسلامي العربي والمغاربي ظل قائما في الجزائر شرقه وغربه، إذ تتبع الجزائريون أحداث "الجلاز" في تونس باهتمام كبير مع أحداث مراكش من طرف الندروميين والتلمسانيين[16] وأهل الجنوب الغربي. وحسُّ التضامن الإسلامي هذا سنلقاه سواء مع "الهجرة التلمسانية" عام **1911** إلى الديار الإسلامية أو مع عملية رفض التجنيد العسكري من طرف الأسر الجزائرية الذي مس أبناءها في الغرب الجزائري. ونموذج ذلك الرفض لوحظ في ندرومة وضواحيها بهروب الشباب الجزائري المعني ولجوئه عند قبائل بني زناسن وكبدانة[17] وسط المغرب الأقصى، سواء للحماية الظرفية من محاصرة الإدارة الاستعمارية لهم، أو لالتحاق كثير من طلبة هذه المنطقة –مستغلة ظروف الحرب العالمية الأولى– للدراسة والتحصيل في المعاهد المغربية.

ومن الجدير ذكره بالنسبة للشباب الجزائري خلال هذه الفترة وداخل هذه الظروف التي يعيشها المجتمع الجزائري دينيا وثقافيا وسياسيا، هو حصول إتجاهات مختلفة عند هذا الشباب المثقف. فإلى جانب جماعة النخبة المتجنسة والليبرالية "الفرونكوفيلية" **(Francophile)** والتي رددت نغمتها في العاصمة، هناك قسم من هذا الشباب الجزائري في القطاع القسنطيني والقطاع الوهراني برز باتجاه مختلف[18] اتخذ موقفا معاديا للسياسة الفرنسية بالجزائر رافضا للتجنيس و"للواقع الاجتماعي" السيئ والمؤلم الذي يعيشه الجزائريون. وهذا الشباب هو صنف من المتعلمين والمتشبعين بالثقافة العربية الإسلامية[19] ومزدوج اللغة ذي مستوى عال[20] وواع بهويته الوطنية؛ استفاد من فرص التعليم بدرجات متفاوتة ولكنه ظل متشبثا بمظاهر الشخصية الوطنية الجزائرية وحريصا على عدم الانفصال عن قاعدته الاجتماعية.

ويشمل هذا التمسك بالشخصية العربية الإسلامية مظاهر مختلفة من الناحية الفكرية والاجتماعية والدينية كالحفاظ على طابع اللباس والسلوك العربي الإسلامي، وتأييد الحركات الإصلاحية السياسية والدينية، أي تأييد لأي حزب، جمعية أو تجمع سياسي

وطني يأتي في المستقبل –مثل حركة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" أو تجمع "المؤتمر الإسلامي" أو جمعية نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري "المصالي"– وهذا الشباب المثقف الواعي سيعبر باندفاعه الوطني ولجوئه إلى "الحق الوهراني" ذي الانتماء العربي– الإسلامي"، وهو الذي سيعمل على يقظة الرأي العام الجزائري لما كان يملك من شعور تام بقضايا الجزائريين وبصفتهم جزء من الأمة العربية، مسلما ومستعمَرا. ومن أهم اهتمامات صحيفة "الحق" خلال هذه الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، هو "التصدي للتجنيس" ومن يقف وراء "أصدقاء ابن التهامي" كما تنعتهم من شباب جزائري متفرنس من ناحية و"لم شمل الجزائريين"، ومقاومة "التجنيد العسكري الإجباري"، و"هجرة الجزائريين"، من الناحية الأخرى.

فأمام خطر "سياسة التجنيس"(**La naturalisation**) على المجتمع الجزائري، وما ارتبط به من الزواج من الفرنسيات، رأت "الحق الوهراني" في ذلك سهاما مصوبة نحو مقومات الشخصية الجزائرية، العربية والإسلامية، على الرغم أن عدد الذين تقدموا لطلب التجنيس لم يتعدى **1131** شخصا من الجزائريين منذ تشريع قانون سيناتوس– كونسلت (**Sinatus-Consulte**) عام **1865** وحتى **1899**[(21)]. فصفيحة "الحق الوهراني" استنكرت مرارا ما كانت تدعو إليه صحيفة "الإسلام" الحكومية ومسؤولوها ومنشطوها من الشباب المتفرنس، "أنصاف الفرنسيين"، وحذرت "الحق" من الأخطار الماحقة التي تهدد المجتمع الجزائري المسلم من "فخ التقسيم" :"ففيما يتعلق بالتجنيس، لا نريد إضافة أي رأي، وإذا رغبته أقلية من الأهالي، فإن القوانين التي تديره حاليا هي كافية لنا" [(22)].

تخوفت "الحق" كثيرا من "مشروع" الانقسام بين الجزائريين وبداية فقدان هويتهم الأصلية، فهي ترى أن تطور الفرد الجزائري، ومن ثم تطور الشعب الجزائري، يتم – بالتوازي مع تطور المجتمع الأوربي– عندما يرفض هذه المحاولات التجنيسية أولا، وكل أشكال "الحريات الفرنسية" من مجالس سياسية وأساليب برلمانية متحضرة؛ ترى فيها

"الحق" «عوامل تفرقة وانقسام ومحو سلالة –قومية– نهبها كل قوانا وجهودنا للحفاظ عليها»[23] .

فالكتاب الوطنيون من خلال "الحق الوهراني" ظلوا مقاومين لحركة الفرنسة، ورفضوا كل محاولات الاندماج بالعنصر الغالب والامتزاج به. فتشبتهم القوي بمقومات الشعب الجزائري الأصلية عُدت بحق من الإرهاصات الفكرية التي حاربت الاندماج والتجنس ما بين 1911و1920–وما بعدها– من طرف الصحافة الجزائرية الإصلاحية، من بينها صحيفة "الفاروق" لابن منصور الصنهاجي التي بشرت "الحق الوهراني" في عددها 39 (من السادس إلى الثالث عشر جويلية 1912) بقرب صدورها؛ وبأنها «جريدة إسلامية سياسية علمية...والتي يحررها جمع من نوابع كتاب العربية...نحث إخواننا قراء العربية ومن يهم حال المسلمين أن يساعدونها ويسعوا في نشرها حتى تعم فائدتها بين جميع طبقات "الأمة الجزائرية" المحتاجة للتربية والإرشاد وعلى الله الاتكال»

شاطرت صحيفة "الفاروق" طروحات "الحق الوهراني" بقلم عمر بن قدور الجزائري الذي اهتم بنفس القضايا وبروح وطنية صادقة ونفس مؤمنة قوية، إذ نجده في مقال له تحت عنوان "طور جديد للجزائر والجزائريين" –الفاروق عدد 20 فبراير 1914– يحذر المسلمين من الخطر الماحق الذي هددهم من جراء بعض الدعوات الجديدة التي تريد الأمة الإسلامية الجزائرية أن تمتزج "بالعائلة الفرنسوية" ويرى أنه على «"الشباب المفرنج" إن كان يرد صلاح أمته بحق أن يدعوها إلى التشبث بملتها وقوميتها.. فإن الاعتزاز بهما درجة أولى في سلم السعادة والرفاهية»[24] .

كان موقف "الحق الوهراني" من سياسة التجنيس والاندماج، يتماشى مع ما دافعت عنه كتلة المحافظين ومثقفيها، إذ سعت إلى لم شمل الأمة الجزائرية من شباب وطبقة المحافظين، فاعتنت كثيرا بطلاب "المدارس الإسلامية"(Medersas) ومدرسيهم، نابذة للتفرقة، ساعية للمصالحة بين فئات المجتمع المثقفة: «ما من قوم تمسكوا بحبل الوفاق واعتصموا به إلا وسادوا على غيرهم. وما من فئة اتخذت الحق سلما لها إلا وصلت إلى غاية محمودة. وما من جماعة سارت إلى طريق الرشاد إلا واهتدت. وما سبب انحطاطنا إلا

بمخالفة ديننا. فإن الأقدمين من الأمة المحمدية كانت أعلام العز تخفق على ديارهم وبلادهم أمام راية العدل، ولا نطيع إلا من أعدل وأحسن إلينا. ويلزمنا أيضا التجنب والوفاق بيننا وأن ينظر كل منا لنفع أخيه المسلم... »[25].

والسعي الوطني "للحق الوهراني" من أجل التوفيق والمصالحة بين تيار "الشباب الجزائري" الليبرالي وتيار كتلة المحافظين السياسيـــة هو الذي دفع الصحيفة إلى المطالبة بدعـــوة –الشباب العاصمي– "لمناقشة ميثاق مطالب مشتركة"[26] بين الأطراف تكون في صالح "الأمة الجزائرية"، قوامه إصلاح النظام التمثيلي وتوسيع القاعدة الانتخابية وإصلاح "الضرائب العربية" جذريا، مع إصلاح النظام القمعي. فالتيار السياسي الذي تزعمته "الحق الوهراني"، طالب في هذه الظروف الصعبة بالإلغاء الكامل لقانون "الأندجينا" والمحاكم الردعية، على نقيض تيار صحيفة "الإسلام" الليبرالية، الذي اكتفى مطالبة بإصلاحها فقط. أما بالنسبة لمسألة التمثيل السياسي لصالح الجزائريين، فصحيفة "الحق" على عكس صحيفة "الإسلام" لم تعره اهتماما، إلا أنها تخوفت من احتمال تمثيل الشعب الجزائري من طرف "المتجنسين" الجدد، والذين لم تلمس فيهم أي صفة وأي حق لكي يتزعموا هذا بهذا الطرح.

تتأكد لنا ملامح الهوية الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني – مع بقية المناطق الجزائرية الأخرى– خلال هذه الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى. فالعوامل التي أفضت إلى بلورة وصيرورة هذه "الهوية" هي كثيرة؛ فمنها العوامل التاريخية–الثقافية التي تتصل بطبيعة الحس الزمني والحرص على وصل الحاضر بالماضي واعتبارها جزءا من الذخيرة الروحية الواحدة للأمة. ومنها العوامل القومية والسياسية التي تتصل باستتبات الوعي القومي والشعور العارم بهوية قومية واحدة، ذات جوانب عرقية ولغوية وثقافية معينة.

ومن الناحية "الدلالية" (**Sémantique**) فمرادفات "الأمة" و"الأمة المحمدية" و"الشعب" و"الوطن" و"القوم" و"الجزائريين" أصبحت متداولة داخل صحف الجزائريين. فابتداء من **1904** مثلا طالبت صحيفة "المصباح" أن لا يلقب المسلمون الجزائريون إلا

"بالجزائريين"، وأن تلغى النعوت الجهوية بسبب المناطق الأصلية لفئات المجتمع، باعتبار أن "الجميع هم جزائريون"[27] فشعور الانتماء إلى وحدة قومية أصبح يتأكد أكثر فأكثر وهو الشعور الذي سينميه المثقفون الجزائريون **L'intelligentsia** من مفكرين وسياسيين مع مطلع القرن العشرين، بعد أن احتضنه الأدب الشعبي من شعر ملحون خلال القرن التاسع عشر كله وحتى نهاية الحرب العالمية الكبرى عام **1918** هو الآخر؛ «فقام أولئك الشعراء والمداحين و"كمبشرين"، بتبليغ رسالتهم السياسية والوطنية وسط مواطنيهم»[28].

خاتمـــــة: إن الانتماء "العربي الإسلامي" الذي عبرت عنه صحيفة "الحق الوهراني" بدوره صقل الهوية الوطنية "بطابعها العربي الإسلامي"، بالارتباط بالدولة العثمانية والجامعة الإسلامية والمشرق والمغرب العربيين. فالرفض –أي رفض الطبقة البرجوازية الصغيرة إدارية كانت، تجارية أم مالكة– للواقع الاستعماري المفروض على الجزائريين، ونبذها لسياسة "التجنيس"و"الفرنسة" و"الإدماج"، ومقاومتها "للخدمة العسكرية" في الصفوف الفرنسية من جهة، والمطالبة بعودة القضاء والمحاكم الإسلامية وإلغاء "قانون الاندجينا"و"محاكم الردع"، بالإضافة إلى عمليات" الهجرة إلى الديار الإسلامية كتعبير عن رفض واقع معاش في الجزائر، سجل (كل هذا) مرحلة من النضج والوعي الوطنيين، خصوصا عندما ربط الجزائريون مطالبهم وحقوقهم السياسية بالمحافظة على أحوالهم الشخصية كمسلمين. وكل هذه المميزات التي اتسم بها الجزائريون والأسلوب والأشكال التي قاوموا بها في هذه المرحلة، أسهمت كلها في بلورة القومية الجزائرية الحديثة.

**الهوامش :**

**(1)** إن الانطلاق الصحيح للصحافة الجزائرية ذات الهوية العربية– الإسلامية سواء كان ذلك باللغة الفرنسية أو العربية بدأ عشية الحرب العالمية الأولى (**1911–1914**) وفعلا فبين **1900**و**1911** لا يذكر غير وجود جريدتين منها للجزائريين هما "المغرب" (**1903–1913**) الصادرة بالعاصمة و"المصباح" وهي جريدة فرنسية–عربية كان يصدرها بمدينة وهران العربي فخار (**1904–1905**)– أستاذ للغة الفرنسية بالمدارس الحكومية– بمساعدة أخيه ابن علي فخار –أستاذ الدراسات العربية بكلية ليون الفرنسية رفقة بعض الشباب من المدرسين في الغرب الجزائري من مدن وهران وتلمسان ومستغانم ومعسكر، استجابة لذلك التيار السياسي المعروف بالشباب الجزائري (**Les Jeunes Algériens**) المطالب بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين طالع:

MERAD (Ali), «La Formation de la presse musulmane en Algérie 1919-1939 » ; **in I.B.L.A, Tunis N°105, 1964, pp 9-29.**

**(2)** "الحق الوهراني" هي ذات الانطباع الإسلامي والنهضة العربية الإسلامية، ظهر أول عدد لها يوم **14** أكتوبر **1911** وكان آخر عدد لها –السادس والأربعون– بتاريخ **24** أوت **1912**. دعمت الصحيفة من طرف بعض الملاك الجزائريين وتاجرين في المجوهرات وصيدلي، كان جل المحررين في الصحيفة يمضون مقالاتهم بأسماء مستعارة كـــ"أحمد ريسا" و "بربروس" و"صال". ساهم في تحريرها من العاصمة ابن منصور الصنهاجي ("صحيفة الفاروق") والتاجر دريسي من مدينة "سلا" من المغرب الأقصى.

**(3)** جريدة "الحق الوهراني" عدد **28** أكتوبر **1911**.

**(4)** و**(5)** "الحق الوهراني" عدد **11–18** أوت **1911**.

**(6)** أنيس (محمد) "الدولة العثمانية والمشرق العربي(**1514–1914**)"، القاهرة، مكتبة الأنجلومصرية (بدون تاريخ) ص**243**، قارن أنطونيوس (جورج) "يقضة العرب، تاريخ حركة العرب القومية " بيروت– الطبعة الرابعة **1974**، صص **168–175**.

(7) **AGERON** (**Charles Robert**), « Politique libérale en Algérie » **; In Revue d'Histoire Moderne et Contemporaines, N°Avril juin 1959, p128.**

**(8)** و **(9)** "الحق الوهراني"، عدد **39**، من **6** إلى **13** جويلية **1912**.

**(10)** "الحق الوهراني"، نفس العدد أعلاه.

**(11)** "الحق الوهراني"، عدد **38**، من **29** إلى **6** جويلية **1912**.

**(12)** هي عنوان مقالات "الحق الوهراني" في عدة أعداد، تنتقد بها السلوكات السلبية الدخيلة على المجتمع الجزائري.

**(13)** طالع صحيفة "الأخبار"، عدد **14** أفريل **1912**.

(14) -ARCHIVES de la wilaya d'Oran (Direction des), **carton 4471, rapport du gouvernements général de mars 1913.**

**(15)** مّثل من بينها مبلغ حوالي **344000** فرنك من القطاع القسنطيني وحده.

**(16)** طالع مختلف تقارير الحاكم العام عن "حالة الرأي العام عند المسلمين"، فترة **1911-1912** "، مديرية الأرشيف بولاية وهران، علبة **4471**.

**(17)** نفس المصدر أعلاه، فترة "**1912-1914**"، قارن أيضا أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفانس، فرنسا، علبة **3331**- وهران.

(18) AGERON (CH.R), « les Algériens musulmans et la France (1871-1919) », **2 tomes 1308p, P.U.F, Paris 1968, tome 2, p1043.**

**(19)** ابتداء من العشرية الأولى من القرن العشرين عرفت النهضة الثقافية الجزائرية بروز وإعادة طبع كثير من المؤلفات التاريخية مثل إنجازات أبي العباس أحمد بن عمار ("رحلة اللبيب"، العاصمة **1904**) وأبي عبد الله محمد ابن مريم ("البستان"، مطبعة الثعالبية، العاصمة **1908**)، وأبي العباس الغبريني ("عنوان الدراية"، مطبعة الثعالبية العاصمة **1908**)، وأبي رأس الناصري ("الحلل السندسية وعجائب الأسفار") وابن هطال ("رحلة الباي محمد الكبير")، وحمدان خوجا (مذكرات...)، والتنيسي ("تاريخ بني زيان")، والتلمساني ("الزهرة النيرة")، إضافة إلى هذا هناك صدور العديد من الوثائق والرسائل والشعر الملحون، وكتب الفقه والنحو والأصول. وخلال عام **1907** نشر المثقف أبو القاسم الحفناوي موسوعته ("تعريف الخلف برجال السلف") وذلك في مجلدين حوت تراجم الشخصيات الوطنية التي ساهمت سياسيا واجتماعيا وثقافيا في تاريخ الأمة الجزائرية. وفي عام **1903** نشر الأمير محمد باشا (ابن الأمير عبد القادر) مؤلفه بمدينة الإسكندرية، عن حياة وتراث الأمير عبد القادر تحت عنوان "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر".

(20) C.A.O.M (Aix-en Provence), carton 11H47 sur "**les enseignants dans le département d'Oran", cf. l'étude d'Alfred bel:** "L'enseignement dans les grandes mosquées" **:**

وهي عبارة عن تقارير ودراسات عن المساجد الكبرى بين **1905** و **1912**، بصفته مفتشا عاما**;** هناك إشارات مهمة عن محتوى التعليم الذي يمنح إلى الحضور من الجزائريين داخل المساجد الكبرى بمدن الغرب الجزائري كمعسكر ومستغانم، وهران وتلمسان وندرومة. إن هذه التقارير تطلعنا عن إقبال المثقفين المتنورين **(LES PLUS ÉVOLUÉS)** لحضور الدروس والجلسات العلمية إلى جانب موظفي السلك الديني. فإلى جانب "العدد المتزايد للحضور" -كما لمسنا داخل هذه التقارير- هناك ما يدل على مكانة اللغة العربية ومستواها الراقي من الجانب التربوي، بما يوحي عن المحيط والبيئة الثقافية الكبيرة في الجزائر. فمرجعية التدريس تناولت عمـــوما- "رسالة ابن أبي زيد القرواني" و"إحياء علوم الدين للغزالي" و"نفح الطيب للمقري" و"ابن عشير" و"مقدمة عبد الرحمن ابن خلدون" وغيرهـــا كـــ"ألفية مالك" و "تاريخ ابن الأثير" و"صحيح البخاري"،...وغيرها.

(21) **MERAD (Ali)-** Le réformisme musulman en Algérie (1925-1940) essai d'histoire religieuse et sociale, **thèse de doctorat d'état, édition, Paris, 1967, p.406.**

(22)"الحق الوهراني"، عدد **10** أوت **1912**.

(23) نفس المصدر أعلاه، عدد **4** مايو **1912**.

(24) ناصر محمد، "المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من **1903**إلى**1931**"، الجزائر **1398**هـ– **1978**م، صفحة **366**.

(25) "الحق الوهراني"، عدد **18** أوت **1912**.

(26) نفس المصدر، عدد **17** فبراير **1912** (وغيره).

(27) جريدة "المصباح"، عدد **22** جويلية **1904**.

(28) **MEYNIER(Gilbert)-**L'Algérie révelée, la guerre de 1914-1918 et le premier quart du xxe siècle, **thèse, imprimerie Genève (Suisse) 1981, p253;** إن المؤلف مينييه (ج)، يستعين كثيرا بمقالات المستشرق ديسبارمي **(Desparmet)** الذي يعالج دور المداحين الوطني بين **1914** و **1930** ضمن نشرة "إفريقيا الفرنسية" المشهورة.

("Afrique (L') Française" -Bulletin du Comité-, Edition de Gouvernement Général de l' Algérie).